

آثار الشرق القديمة

أثر مصري

حالة الفلاح المصري والاديب المصري قديماً . وصف الفلاح المصري الحالي والقديم .
رسم اديب من اديباء المصريين القدماء

كنا نتصفح كتاباً عن مصر وآثارها فعثرنا فيه على رسالة في غاية الاهمية كتبها امينان وكيل مكتبة الملك سروستريس (رعمسيس) الى الشاعر بنتاتور المصري احد شعراء الملك المذكور . والسبب في كتابة هذا الكتاب (١) ان الشاعر بنتاتور كره صناعة الادب والشعر في ذلك الزمان فتركها وعدل عنها الى الحراثة والزراعة فانكر صديقه امينان وكيل مكتبة الملك هذا الصنع كتب اليه الكتاب الذي نحن في صده .
وهذه ترجمته

« يا تون اليك بهذا الكتاب لابلاغك امرأ . فانه قد بلغني انك هجرت الآداب
« وابتعدت عن البلاغة والتفت الى اشغال الحقول وادرت ظهرك الى الكتابة السماوية .
« فتأمل وافكر بحالة الفلاح . فانه قبل ان يحصد تحمل الحشرات قسماً من القمح
« وتاكل الحيوانات ما بقي . وفي الحقول امرباب كثيرة من الجرد . والجراد يهجم بكثرة
« والماشية تاكل والعصافير تنهب . واذا ترك الفلاح شيئاً في الحقل فان اللصوص تسرقه
« وآلته تنثل وتخطم مع الوقت لانها من حديد . وجواده يموت وهو يجر المحراث . ثم ان
« الجبابة يفتدون من الميناء لجبابة الضرائب ومعهم اناس يحملون عصياً وزنوج في ايديهم
« سعف النخل يتخذونها كسياط . فيقولون للفلاح (اعطنا قحاً) وليس في استطاعته ان
« يردم . فانهم يوثقون يديه ويرسلونه الى الترع وهم يدفعونه امامهم بقوة . وكذلك يوثقون
« امراته على مראى منه ويسلبون اولاده . اما جيرانه فانهم يكونون مشغولين عنه باشغال
« الحصاد . هذه هي حالة الفلاح . اما عمل الكاتب الاديب فانه امي الاعمال ولا
« ضريبة عليه . فاعلم ذلك »

(١) وهذا الكتاب محفوظ الآن في متحف لندن



(كاتب وناسخ مصري قديم)

اكتشف تمثاله المسبوك مسبرو

فيظهر من هذا الكتاب ان حالة الفلاح المصري لم تكن في عهد الفراعنة افضل مما كانت قبل قيام المغفور له محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية الكريمة . وان بين حالة الفلاح المصري في هذا الزمان وبين حالته في الازمنة الماضية ما بين الارض والسماء وكذلك يقال في مسألة الادب . فان الكتابة والآداب كانت معتبرة عند قدماء المصريين وغيرهم من الامم المتقدمة صناعة الهية وكان الاشوريون يعتقدون ان الآلهة هي التي علمت الناس الكتابة والقراءة . ولم يكن هذا الاعتقاد عن وهم ولكن عن شعور بشرف الكتابة واهميتها واذا رام القراء ان يعرفوا بالنظر الاديب والفلاح المصريين القديمين فلينظروا الى الفلاح المصري الحالي والى الاديب المصري في الرسم الذي في هذا الفصل . فان الفلاح المصري لم يتغير منذ القدم . قال بعض المؤرخين . ان الزواجر السياسية والاجتماعية التي عصفت في مصر قلبت فيها كل شيء ظهراً الى بطن ورأساً على عقب الا الفلاح المصري صاحب مصر الحقيقي وعماد ثروتها . فان هذا الفلاح بقي ثابتاً في مكانه ولم يتغير عما كان فيه . من

عهد الفراغة . اي انه لا يزال لطيفاً هادئاً ينحني لكل الزواجر التي تمر فوق راسه ويخضع لكل الايدي التي تقبض على زمامه . وهو يحب ارضه كما يحب الولد امه ولذلك فهو يحرص عليها ويفتخر بامتلاكها كما انه يعبر من لا يملك شيئاً منها . وهو مستجمع فضائل الامة المصرية وعليه يتوقف مستقبلها .

اما الاديب المصري القديم فقد كان متعدد الانواع فمنه الشعراء ومنه الكتاب ومنه النساخ . وكان للنساخ اهمية كبرى في ذلك الزمان لعدم وجود المطابع . وكثيراً ما عثروا في المدافن القديمة على آلات الكتابة المصرية ومعها بحبرنا النساخ واحدة للحبر الاسود وواحدة للحبر الاحمر . وكانت الكتابة يومئذ على نوع من الورق كانوا يصنعونه من البابيروس واحياناً كانوا يضمنون بالبابيروس لغلاء ثمنه ويكتبون على قطع خزفية او خشبية ما كان بلا اهمية كورقة دعوة او كتاب ودي وما اشبه وقد نشرنا في هذا الفصل رسم تمثال اديب وناسخ مصري قديم اكتشفه المسيو ماسيرو منذ سنوات ليعرف اديباؤنا وجهه وصفائهم من المتقدمين

اثر سوري

الزي السوري القديم . الزي الاناضولي . البنات الاناضوليات اقوى من الرجال
هل يجب ان نفكر على الزمن القديم

كما اننا نشرنا للادباء في الفصل السابق رسم رصيف مصري قديم ننشر للسيدات في هذا الفصل رسم « جدة » لابسة الزي السوري القديم الذي لا يزال آثاره باقية الى هذه الايام ولا نعني بذلك ان نساء سوريا ما زلن يلبسن هذا الزي الغريب الذي هو اشبه بازياء الروايات ولكننا نقول انه لا يزال في نساء سوريا بقية من ذلك الزمن القديم وهن يلبسن ذات الملابس التي يراها القراء في الرسم
اما ازياء النساء السوريات اليوم فهي كازياء النساء الاوريات والاميركيات لانها مقتبسة منها كما اقتبس ازواجهن ازياء ازواجهن

ولكنه لا يزال في جهات الاناضول كثيرات من النساء يلبسن ازياء اغرب من زي « الجدة السورية » التي نشرنا رسمها . فقد زرنا مدينة اضاليا في الاناضول منذ بضع سنوات فرأينا نساء المسيحيين فيها متزوجات وغير متزوجات جميلات وغير جميلات يلبسن فقطناً كقطاطين

الرجال وهو ذو اربعة اقسام قسمين يتدليان على جسم المرأة من وراء . وقسمين يتدليان على جسمها من امام . ويلبسن فوق « القفطان » سترة صغيرة لا تتجاوز اثنيتين على مثال « الدامر » الذي يلبسه لابسو اللباس العربي في الشام . ويتنطق بزئار في وسطهن ويلبسن طربوشاً في رؤوسهن ويصففن عليه قطعاً من النقود الفضية او الذهبية ويجدلن صفائر عديدة من شعرهن ويرخينها على ظهورهن كاذناب الحيات وفي اطرافها قطع من النقود ترن وتطن كلما خطت المرأة خطوة . ولا ريب ان الذين اعتادت عيونهم ان ترنع في مناظر اللطف النسائي في مصر والشام والفت ابصارهم مشاهدة ملابس النساء الظريفة وثار اذواقهن اللطيفة يستهجنون تلك الملابس الاناضولية كما يستهجن القاري لباس الجدة السورية

ولكن اذا كان في ملابس بعض النساء الاناضوليات ما يدعو الى الاستهجان ففي اعمال بعض فتياتهن ما يدعو الى الاعجاب والاستحسان . فان بعض البنات الاناضوليات مسلمات ومسيحيات يعملن اعمال الرجال واشق منها . فانهن ينقلن قطع الخشب الضخمة على اكثافهن من مسافات بعيدة كانهن حيوانات للنقل . وهن يشتغلن بهذا العمل الشاق القبيح افواجاً . افواجاً . وتجد الفتاة منهن حاملة على كتفها القوي قطعة الخشب الضخمة التي يتجاوز طولها اربعة امتار وهي ماشية تحت حملها بخطى ثابتة قوية والدم يكاد يفور من وجنتها فيخيل لك انك في منام اذا كنت غريباً عن البلاد . واذا كنت قد قرأت ما يقوله فلاسفة الافرنج من تحريم العمل على النساء الاوروبيات ولا سيما اذا كان شاقاً ولا يستلزم مهبة نسائية قلت في نفسك اين اولئك الفلاسفة ليقتضوا العجب من هذا المنظر . ومع ذلك فان الفتيات الاناضوليات يكنّ مبتسمات فرحات تحت احمالهن الثقيلة . وكثيراً ما يتراكن ويتسابقن تحت تلك الاحمال الكريهة وهن منشدات مقهقات ذلك لانهن يشتغلن ليصلن « دوطة » لمن ومتى جمعن هذه الدوطة تركن العمل وتزوجن وعشن مستريحات . فبارك الله في هذه الهمة التي تدل على مبلغ ما في نفوس النساء الاناضوليات من العزيمة والنشاط

ولا ريب عندنا ان كثيرين من قرائنا في سوريا اذا وقعت انظارهم على رسم « الجدة السورية » يتنهدون من اعماق صدورهم . اما القارئ فانهم يتنهدون لانهن يشكرن الله تعالى على اتقادهن من ذلك الزي الخفيف : تلك العمامة التي هي كالغمامة . والمقص المعلق بها كصفور على شجرة . والحزمة التي تثقل القدمين كقيد من حديد . ونول



﴿امراة سورية بالزي السوري القديم﴾

الحياكة وملف الحرير الذي كان شغل المرأة الشاغل في ذلك الزمان . والترجيلة الهائلة التي لا تأنف — وأأسفاه — كثيرات من السوريات وغير السوريات من التدخين بها حتى اليوم . والقفطان الذي هو كثير الشبه بقفطان النساء الاناضوليات . هذا فضلاً عن عبوديتهن القديمة الرجال

واما القراء الذين يتنهّدون لهذا الزي فانهم يتنهّدون لانهم يذكرون زمناً قد مضى وهم يأسفون عليه . وسبب اسفهم عليه عدم رضائهم عن الزمن الحاضر . فان من كان يملك منهم في ذلك الزمن مائة جنيه كان كمن يملك ثلاثة الاف جنيه في هذه الايام . لان اردب القمح كان يباع بعشرة غروش وكل حاجيات المعيشة كانت رخيصة الثمن على هذا

المنوال . وفضلاً عن ذلك فقد كانت النفس راضية بالقليل مكنتية بالموجود الحاضر . وكان الرجل سيداً مطلقاً في البيت واقرب شيء الى يده العصا لتأديب امراته . وكانت هذه المرأة عبدة حقيقية لا تخرج الا محجبة ولا تجالس رجلاً ولا تخاطب احداً غير زوجها الا من وراء حجاب كاخواتهن المسلمات اليوم . غير ان العادات والاخلاق كانت الطف وابسط منها اليوم كما يزعم الشيوخ الذين شهدوا تلك الايام . وهم يزعمون ايضاً ان الامراض كانت اقل واخف وطأة . ولكن هذا الزعم والذي تقدمه يحتاجان الى اثبات . ويرد الاطباء على الزعم الثاني بقولهم ان الامراض كانت مجبولة لا معدومة وكان الناس يسمون كل مرض حمى فلما انتشر الاطباء ومموا الامراض باسمائها الحقيقية ظف البسطاء انها تعددت . وقس على ذلك باقي شؤون الحياة .

اما نحن فلا نجهل ان المعيشة في ذلك الزمان كانت اسهل وابسط مما هي اليوم والناس كانوا اقرب الى الاخاء البشري والبساطة الطبيعية ولكننا نعتقد ان الذين يأسفون على الايام الماضية انما يأسفون اسف الشيخ الذي يتحسر في شيخوخته على شبابه وان كان في شيخوخته اهنأ بالآ مما كان في شبابه واحسن حالاً . فمن يتحسر اليوم على زمن الجدة السورية فليتحسر عليه ولكن دون ان يتمنى الرجوع اليه .

صفحة الشعر

﴿ قوة نساء العرب وسرعة جوابهن ﴾

يعزُّ على الكاتب اليوم اذا رام تفككه قرائه بشيء من الشعر ان يرى نفسه مضطراً للرجوع الى ما جاء في الكتب القديمة . وليس يعزُّ عليه ذلك لان ما جاء في هذه الكتب مهمل لا يستحق النشر ولكن لانه لا ينطبق على شؤون العصر وحاجاته ولذلك فهو قلما يكون ذا تاثير في نفس القارئ . غير ان الرواية الشعرية التي نزويها الآن نقلاً عن المسعودي جديرة بان تلاءم القراء فضلاً عن دلالتها على ما كان للنساء في ذلك الزمان من المكانة من البلاغة وسرعة الجواب . وهذه خلاصتها . قال يزيد الرقاشي

سمرت ذات ليلة عند السفاح (وهو ابو العباس عبدالله بن محمد اول الخلفاء العباسيين) فقال يا يزيد اخبرني باظرف ما سمعته من الاحاديث فقلت : يا امير المؤمنين . نزل